(قصيدتي هناكَ عندَ جبلِ المريكبات)

أشعرُ بالارتياحِ في النظرِ إليهِ، في الجلوسِ عندَهُ

في انبلاجِ لغةِ الأحاسيسِ بيني وبينَهُ

ذلكَ هو جبلُ المريكباتِ الذي أُحبّهُ

وأُحبّهُ المُتَنَزّهَ الذي صار رفيقَ دربِهِ، رفيقَ بقائِه

أسمعُ تَحاورَهما الصامتَ، أسمعُهُ بوضوح

خصوصاً في يومِ شتاءٍ مشرقٍ صافٍ أو غائمٍ قليلاً

أتذوّقُ حينَها معنى الحياة

أتذوّقُ رائحتَها، نكهتَها الخاصّةَ التي تبلغُ أعماقَ الروح

ولذلكَ أفتحُ مصراعَي قصيدتي لهما

لهُ وللمُتنزّهِ الذي صار لهُ معنىً مكتسبٌ منه

مِنْ جبلِ المريكباتِ الذي أُحبّهُ

أجعلُ نصّي الشّعْريّ يرتفعُ بهِ، يستأنسُ يشعرُ بالشموخ

مثلما يستأنسُ حينَ يشدو بجبال

حينَ يتغنّى بجبلِ الأربعِ، بجبلِ أبي الدلاسيسِ، بجبلِ أبي حصيص

بجبلِ القرينِ، بجبلِ برقاء

إنّها الجبالُ التي تتعطّرُ بها نسائمُ الرّيح

تصلُني حتى إنْ لَمْ أستطعِ الوصولَ إليها

تَصلُني حتى في أحلامي

أحلامِ يقظتي وأحلامِ منامي

فبها أراني وبما أراني أراها

أَبلغُ نشوةَ القصيدةِ التي تُبدعُ فرادةَ شِعْرِيَّتي

تَجعلُ اسمي خالداً بها، وتَجعلُ قصيدتي خالدةً باسمي

مثلما خُلِّدَ بموجوداتِ قصيدتِهِ، بمعالمِها خُلِّدَ غَيْلان

لستُ صفرَ اليدينِ حتى تتسلَّقَ أحرفُ قصيدتي جبلَ الأولمبوس

حتى تُشكِّلَ عمقَها النصِّيَّ في قمَّةِ جبلِ بارناسوس

لستُ ممَّنْ يُغَطِّي ضحالةَ نصِّهِ بها

بإحالاتٍ إليها

إلى ركامِ أساطير تبدو كالثآليلِ القبيحةِ في جسدِ النص

تَجعلُ المُتلقّين ينفرون مِنْ نصٍّ وظّفَها

ومنها ينفرون نفورَهم مِنْ مجذوم

أرأيتَ بائعَ قهوةٍ خولانيّةٍ لا يَنفرُ مِنْ نصٍّ وظّفَها ومنها

أرأيتَ بائعَ فَقْعٍ زُبَيدِيٍّ لا ينفرُ مِنْ قصيدةِ خنسائِنا

متى ما صَيّرَتْ شعلةَ برومثيوسَ مُشبّهاً بهِ في شأنِ أخيها صخر

أرأيتَ بائعَ بليلةٍ في بابِ مكّةَ لا ينفرُ مِمّا أنفرُ منه

فأنا لستُ إلا أنا، وأنا لا أبحثُ عن الحكمةِ في جبلِ إيدا

إنَّ حكمةَ الشِّعْرِ في نفسي حينَ أعرفُ نفسي

حينَ أتذكَّرُ أنَّ الشِّعْرَ هُنا ولُدِ ومِنْ هُنا بَدَأ

حينَ أُنادي جبلَ الأربعِ مثلما نُودِيَ شَجَرُ الخابور

حينَ أُقَبِّلُ صخورَ المريكباتِ مثلما قُبِّلتَ جدرانُ دارِ ليلى

وحينَ أستغني بمعالمي كُلِّها استغناءَ تَلَذُّذ

كما استغنى قيسٌ بإيحاءِ جَبَلِ توبادِهِ ليبَلُغَ لُبَّ الشِّعْر

وكما استغنتْ قصيدتُهُ بهِ، بليلاه

فالنصُّ الفقيرُ هو ما لا يَتَغَنَّى بما عندهُ

والنصُّ الفقيرُ دائماً يَتَغَنَّى بإيكاريوسَ ولا يَتَغَنَّى بابنِ فرناس

يَصدُّ عن توظيفِ كُلِّ الموجوداتِ التي تَذوبُ لها قلوبُ الناس

يَذوبُ لذكرِها جاني عَسَلِ الزعترِ في جَبَلِ رضوى

يَهتزُّ لها وجدانُ فلاحٍ فَرَغَ مِنْ جنيِ الرطبِ ليستريحَ في جلسةِ شاي

ولها يَذوبُ قلبُ ناقدٍ مُحترِفٍ قبلَ تَلَقِّي خطراتِ عقلِهِ، لُجَجِ خِبْرَتِه

هكذا أنا أصنعُ قصيدتي وهي أيضاً تَصنعُني

سَلُوا عنها وعنِّي جَبَلَ أبي الدلاسيس

سَلُوا جَبَلَ القرينِ، سَلُوا جَبَلَ أبي حصيص

وسَلُوا بائعَ الذُّرةِ في مُتَنَزَّهِ المريكبات

سَلُوا بائعَ رمّانِ الطائفِ الحلوِ فيهما

في سَفْحِ جَبَلِ شَفاهُ، وفي قمَّةِ جَبَلِ

هَدَاه

سَلُوا بائعَ المانجو اللذيذِ في بيش

وسَلُوا بائعَ الفلافلِ في سوقِ الخميسِ هناك

هناكَ هُنا والزمانُ سَمِيرُ المكان

فما بينَ توبادِنا والقرين

سوى لحظةٍ تِلْوَ لحظة

سوى أيِّ وقتٍ يَمرُّ كطرفةِ عين

سوايَ متى كنتُ قيساً وكنتُ العيونيَّ في تالديِ والجديد

أنا ابنُ المُقَرَّبِ مِنْ كُلِّ ناسيَ في لُغتي

وفي نبضِ حرفيَ في كاملي والمديد

وفي حُلْوِ تفعيلتي والنثيرة

وحتى ابنَ لولا ثلاثٌ سَلُوهُ

سَلُوا كوزَهُ والنديمَ سَلُوهُ

وحتى تكيّـَةَ ديوانِهِ قَلّـِبوها سَلُوها

وأيضاً سَلُوا سقفَهُ والحصيرة

سَلُوا أنجمَ الليلِ في عمقِ دَهْنائِنا والقمر

سَلُوا بسمةَ الصبحِ فيها ومَدّـَ البصَر

سَلُوا كُلّـَ ريحٍ تُداعبُ كُلّـَ جبالي

سَلُوا مُمْكِني حينَ يعدو طموحاً

وحين يَشقّـُ بطونَ المحالِ .